

حياة الإنسان على الأرض

بين القرآن الكريم والمناهج الوضعية

إعداد الدكتورة

إيناس جلال محمود القصاص

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الإنسان على الأرض بين القرآن الكريم والمناهج الوضعية

إيناس جلال محمود القصاص

قسم التفسير ، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر ، القاهرة،مصر.

البريد الإلكتروني: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

الملخص:

في هذا البحث محاولة لكشف ونقد المقولات الرئيسية للمنهج الوضعي في تفسير حياة الإنسان على الأرض، من خلال أحد أهم مواضيع القرآن الكريم، وهي القصص القرآني. وتقديم التصور الصحيح، كما يبدو لي، لحياة الإنسان على الأرض، ومدى محورية الرسل وما أرسلهم الله به في حياة الإنسان، ومحورية الشياطين في ظهور الكفر والفسوق والعصيان وما ترتب عليه من خراب للعمران.

واتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي المقارن. وتوصلتُ إلى عدد من النتائج من أهمها: فساد المنهج الوضعي في تفسير حياة الإنسان على الأرض، من خلال مقولة "التطور العضوي والمعرفي"، والتي تتنكر لقضية الخلق بشقيها الخالق، سبحانه وتعالى، وما خلق في السموات والأرض، وتعمد إلى تغيب الرسل والرسالات، وإنكار الدار الآخرة وما فيها عذاب ونعيم مقيم. ومن خلال استحضار ما أخبرنا الله به عن الخلق وإرسال الرسل وغواية الشيطان للإنسان يمكن نقد الرؤية الوضعية وتقديم تفسير لحياة الإنسان على الأرض.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم، تاريخ الإنسان، آثار السابقين، الوضعية، التطور العضوي، التطور المعرفي.

Human life on earth between the Holy Qur'an and positivist approaches

Enas Glal Al-Qassas
Faculty of Islamic Studies, Al-Azhar University in Cairo.

Abstract:
In this research, an attempt is made to reveal and criticize the main arguments of the positivist approach in interpreting human life on earth, through one of the most important topics of the Holy Qur'an, which are the Qur'anic stories. Presenting the correct perception, as it seems to me, of human life on earth, and the extent of the centrality of the messengers and what God sent them with in human life, and the centrality of the devils in the emergence of disbelief, immorality and disobedience and the consequent destruction of civilization.

I followed the comparative deductive inductive approach. And I reached a number of results, the most important of which is: the corruption of the positivist approach in interpreting human life on earth, through the saying of "organic and cognitive development", which denies the issue of creation in its two parts the Creator, Glory be to Him, and what He created in the heavens and the earth, and deliberately ignores the messengers and messages. Denying the home of the Hereafter and what is in it is eternal torment and bliss. And by evoking what God told us about creation, sending messengers, and Satan's seduction of man, it is possible to criticize the positivist vision and provide an interpretation of human life on earth.

key words:
The Holy Quran, human history, the effects of the predecessors, positivism, organic development, cognitive development.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمــــة

في القرآن الكريم تفصيل كل شيء، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[(١)]، ويقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[(٢)]. والقرآنُ بيِّنٌ، ومبيّنٌ، وحاكم. بيّنٌ في نفسه ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾[(٣)]، ومُبيِّن لغيره، ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[(٤)]، وحاكماً على الناس فيما اختلفوا فيه ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[(٥)]. ولذا نستطيع أن نقرر بوضوح أن في القرآن الكريم إجابة شديدة الوضوح على الأسئلة التي تتردد بيننا، وتلك الأسئلة التي تتردد في الصدور ولا تنطق به الألسنة حرجًا أو عجزًا عن البيان. وقد وصف بها ألله القرآن الكريم بأنه شفاء لما في الصدور، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[(٦)]. ولذا علينا أن نرجع لكتاب الله ونحاول من خلاله فهم ما نشاهده من ظواهر: في النفس الإنسانية، والتجمعات البشرية المجتمع، والآيات الكونية الطبيعية.

---

(١) سورة النحل(١٦):من الآية٨٩.

(٢) سورة يونس(١٠):من الآية١٢.

(٣) سورة البقرة (٢):الآية٩٩.

(٤) سورة النور(٢٤):الآية٩٩.

(٥) سورة البقرة(٢):من الآية ٢١٣.

(٦) سورة يونس(١٠):آية ٥٧.

وقد حثنا الله على التأمل في آثار السابقين، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾[1]. وبالفعل كثُرَ التأمل في آثار السابقين في هذه الأيام، محاولةً لفهم حال أصحاب هذه العجائب الأثرية، ولكنّ كثيرًا ممن يتأملون ينطلقون من دوافع ذاتيه لا امتثالًا لأمر الله في كتابه، ويفسرون الآثار من خلال مناهج وضعية، ولا يبدو تأثرهم بآيات الذكر الحكيم، ولذا علينا أن نطرح هذا السؤال: كيف نفهم حياة الإنسان على الأرض من خلال آيات الذكر الحكيم؟

وأحاول في هذه الدراسة الإجابة على هذا التساؤل من خلال التدبر في أحد موضوعات القرآن الكريم القصص في القرآن الكريم، إيمانًا بأن لله في كتابه قولًا فصلًا عن السابقين وأحوالهم وما تركوه خلفهم يذهب بكثيرٍ من الحيرة التي تنتاب الحضور ممن يطوفون حول الآثار والمجهول من تاريخ الإنسان على الأرض، ويتحدثون بأهوائهم أو من خلال مناهج وضعية .

أهمية البحث:

تكمن الأهمية العلمية لهذا البحث في أمور من أهمها:

١) المشاركة في بيان أن في القرآن الكريم تفصيل كل شيء، كما قال الله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾[2]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

٢) المشاركة في بيان سنن الله في خلقه، ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[4] .

(١) سورة طه(٢٠): الآية ١٢٨.

(٢) سورة يونس(١٠): من الآية١٢.

(٣) سورة النحل(١٦): من الآية٨٩.

(٤) سورة يونس(١٠): الآية ١٠٢.

٣) المشاركة في كشف السياق المعرفي الذي تتحرك فيه المناهج الوضعية الحديثة، وبيان فساد هذه المناهج التي لا تنطلق من الوحي كتابًا أو سنة، وتقرأ التاريخ بعيدًا عن سنن الله في خلقه، بل تتعمد تغييب ذكر رسل الله من حياة الأمم.

٤) المشاركة في إظهار أثر الشيطان في ظهور الكفر والعصيان، وقد بين الله لنا عداوته وأمرنا باتخاذه عدوًا ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾(١).

٥) المشاركة في إظهار الفهم الصحيح لتاريخ الإنسان على الأرض من خلال ما جاء في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

المشاركة في أحد أهم موضوعات القرآن الكريم الكبرى، تلك التي تُعنى بأحوال السابقين القصص في القرآن الكريم.

١) التأكيد على أن القرآن الكريم بين في نفسه، ومبين لغيره، وأنه هو الفصل فيما اختلف فيه.

٢) إبراز أثر الشيطان في حركة الإنسان، واستخدام ذلك في تفسير عديد من الظواهر التاريخية التي وقف أمامها أصحاب المناهج الوضعية حائرين.

٣) إظهار أن تاريخ البشرية صراع بين أهل الإيمان بقيادة الرسل وأهل الكفر والغواية بقيادة الشيطان وليس تطورًا ماديًا في خط مستقيم كما يدعي أرباب المناهج الوضعية.

٤) المشاركة في تقديم مادة علمية لمن يحاول فهم آثار السابقين فهمًا صحيحًا يتوافق مع العقل وبدهيات التأمل في حياة الإنسان على الأرض.

---

(١) سورة فاطر (٣٥): آية٦.

٥) مجاهدة المفسدين الضالين بالقرآن الكريم كما أمر الله ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[1]، رجاء أن يكتبني الله، وإياكم، من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته.

أسباب اختيار الموضوع:

١) ما سبق بيانه من الأهمية والأهداف.

٢) انتشار محاولات فهم تاريخ السابقين، والإقبال الشديد من الناس على ذلك، مع غياب، أو تغييب، مفاهيم القرآن الكريم في فهم آثار السابقين مع كثرة الحديث عنها في الذكر الحكيم.

٣) أسباب علمية تستهدف بيان أن تاريخ البشرية قائم على الرسالات، أو: قائم على الصراع بين الإيمان والكفر. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾[2]

٤) غياب، أو تغييب، الشيطان كأحد أعداء الإنسان مع إيمان عامة المتحدثين به، وبعداوته للإنسان.

٥) أسباب دفاعية تستهدف تقديم رؤية نقدية للمناهج الوضعية التي حاولت تفسير التاريخ بعيدًا عما أخبرنا الله به في كتابه.

منهجية البحث:

اتبعتُ المنهج الاستقرائي الاستنباطي المقارن، وذلك بقراءة ما دونه علماء التفسير وعلوم القرآن فيما يتعلق بالحديث عن تاريخ الإنسان على الأرض أو الأمم السابقة، ومحاولة استخلاص أهم المفاهيم. ورجعت، كذلك، لعدد من الكتب والمحاضرات والحوارات التي عُنيت بتفسير المستشرقين والمتأثرين بهم لتاريخ الإنسان على الأرض وخاصة أصحاب المنهج

---

(١) سورة الفرقان (٢٥): من الآية٥٢.

(٢) سورة فاطر (٣٥): من الآية٤٣.

الوضعي الذي لا يؤمن بالوحي، واستخلصت أهم المفاهيم. ثم قمت بجمع ما تحصلت عليه من مادة علمية وتصنيفها حسب الموضوعات الفرعية لبيان الرؤية الوضعية الخاصة بالمستشرقين والمتأثرين بهم في ضوء ما جاء في القرآن الكريم عن حياة الإنسان على الأرض..

وبدأت في المبحث الأول بتقديم منهج المستشرقين والمتأثرين بهم في تفسير حياة الإنسان على الأرض، أعرض أراءهم الرئيسية وأناقشها مناقشة موضوعية من خلال آيات الذكر الحكيم بما يناسب المقام، فلا يجمل أن نأتي بالشبهة دون أن نتبعها الرد عليها، وذلك حتى لا تستقر في حس المتلقي، فكل قولٍ من أقوالهم قرنته بنقاش وردٍ واضح من آيات الله البينات المبينات، ثم عرضت في المبحث الثاني ما فهمت من كتاب الله في بيان حياة الإنسان على الأرض، والله أسأل توفيقًا وبركة، إنه كريم منان.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

وفي المقدمة بيان للسياق الذي تولدت منه فكرة البحث وسؤاله الرئيسي الذي أحاول الإجابة عنه، وأهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع. والمبحثان هما:

المبحث الأول: التطور وتغييب الرسالات.

المبحث الثاني: الرسل والشياطين.

ثم الخاتمة وفيها تلخيص للبحث ورصد لأهم نتائجه.

المبحث الأول

التطور وتغييب الرسالات

بعد تصاعد الرفض للهيمنة الكنسية في أوروبا مَارَسَ الأوربيون النقد النصي على "الكتاب المقدس" وكانت النتيجة أنَّ أقْدَمَ ما بأيديهم من مخطوطات يرجع لما بعد المسيح عليه السلام بمئتي عام تقريبًا، بمعنى أن النص المكتوب تحت مسمى الأناجيل لا يثبت بيقين للمسيح عليه السلام(١). وغير هذا الشك في نسبة النص للمسيح عليه السلام احتوى "الكتاب المقدس"، على بعض رسائل بولس(٢) ورسائل ورؤى ومنامات لبعض "القديسين". وكذلك فإن التعاليم التي تنظم شئون

---

(١) عُني النقد النصي بالتعرف على أقرب مخطوطة للنص الأصلي، وكذلك التعرف على الأخطاء أو التغيرات التي قام بها النسّاخ. ينظر: "ما هو علم النقد النصي" موقع الأنبا تكلا هيمانوت، أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣:
https://2u.pw/IG5Akc

(٢) لم تُدرج كل رسائل بولس، مع أنه عندهم "رسول" ويفترض أن يكون كل كلامه مقدس وخاصة الرسائل فقد كانت تعاليم للمؤمنين به المتبعين له. وبعض ما أدرج من رسائل بولس شخصي جدًا.. فيه سلامات على معارفه وأصدقائه، مثل: سَلِّمْ عَلَى فِرِسْكَا وَأَكِيلاَ وَبَيْتِ أُنِيسِيفُورُسَ. و "سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ، وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي، وفي هذا دليل شديد الوضوح على أن العهد الجديد من "الكتاب المقدس"، كان توليفة من اللاحقين.
ينظر: "أقسام الكتاب المقدس ومعلومات عنه"، موقع الأنبا تكلا هيمانوت، أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣:
https://2u.pw/ywWUhh

الحياة الدينية بين النصارى جاءت متأخرة أيضًا[١]، وظلّت تتطور في الأصول وليس الفروع تبعًا لحال المجتمع وحال القائمين على الكنائس. بمعنى غلبة التأويل على النص[٢].

وأهم مما مضى كله أن صفة "القداسة" جاءت متأخرة من المجامع بعد رفع المسيح عليه السلام بقرون من الزمن. بمعنى أننا أمام ثلاث حقائق: عدم ثبوتية النص للمسيح بيقين، أو عدم ثبوتية كثير من النص للمسيح بيقين؛ وأمام حالة من الانتقائية لبعض ما كتبه أشخاص لأغراض خاصة كتسجيل الأحدث والتعليق عليها، أو تدوينًا لفهمهم لما وصلهم من تعاليم المسيح عليه السلام؛ وأمام فريق ثالث انتقى بعض الكتابات وأعطاها صفة القداسة[٣].

وحديثًا، بعد ظهور الاكتشافات العلمية، أضيف إلى ما سبق عدم صحة بعض ما ورد من أخبار في "الكتاب المقدس"، مثل: وصف الأرض بأنها ذات زوايا أربع، أي مربعة وليست كروية[٤]، وعدم صحية التواريخ التي ذكرها من كتبوا الكتاب بأيديهم لعمر الإنسان على الأرض من آدم إلى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام[٥]، وأعطى كتبة الكتاب تحديدًا دقيقًا بالسنين

---

(١) يشتهر في ذلك كتيب "الديداخي"، أو "الديباديكي" أو "تعليم الرسل الاثنى عشر" أو "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولًا" أو "تعاليم الرسل الاثنى عشر"، وهو كتيب صغير يقال أنه يرجع للقرن الميلادي الثاني وأقدم من بعض الأناجيل. ينظر: "كتاب ديداخي: تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الاثنى عشر"، موقع المحراث، قسم المقالات: أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣: https://www.plough.com/ar/articles/didache-ar

(٢) من أفضل ما كتب في هذا السياق كتاب "تحريف أقوال المسيح" للدكتور بارت إيرمان، أخذ بتاريخ٢١/ ٨/ ٢٠٢٢ من الرابط: https://archive.org/details/1-pdf-maktbah.net

(٣) ينظر:"هل العهد القديم كلمة الله" لمنقذ محمود السقار، (القاهرة، دار الإسلام للطبع والنشر والتوزيع،١٤٤٠/ ٢٠١٩). وينظر: "هل العهد الجديد كلمة الله" لمنقذ محمود السقار، (القاهرة، دار الإسلام للطبع والنشر والتوزيع،١٤٤٠/ ٢٠١٩).

(٤) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٧ : ١.

(٥) سفر التكوين: الإصحاح١١.

وأحيانًا بالأيام، تبين خطؤه بعد ذلك، لبعض الأحداث مثل: ميلاد إبراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، والخروج من مصر، وانقسام المملكة اليهودية وسقوط السامرة وسقوط أورشليم. والذين يدافعون عن هذا الاضطراب في التواريخ يقولون بأن السبب هو غياب المرجعية التي يتم التأريخ لها، كما يحدث الآن بالتأريخ مرة بالهجرة النبوية ومرة بميلاد المسيح عليه السلام. وردهم غير صحيح فقد حدد الكتاب عمر الإنسان كله على الأرض وثبت عدم صحته، ولا يحتاج هذا لنقطة بدء محددة يتكئ عليها. وكذلك فإن غياب المرجعية التي يؤرخ لها نقصانٌ وأمارةٌ على أن من أرخ شخص عادي تحدث من عند نفسه أو كان يؤرخ بما يشتهر في زمانه كما في سفر إشعيا(١) ، وأمارة على أنه لا يوجد اتفاق بين دارسي التاريخ في الكتاب، ويصل الاختلاف في تحديد الأزمنة إلى بضع مئات من السنين(٢).

هذه المعضلات العلمية أفقدت الغربيين الثقة في "الكتاب المقدس" كمصدر للمعرفة واتجهوا إلى وضعية الإيمان بالأشياء على ما هي عليها وإنكار الغيبيات الميتافيزيقا، وحاولوا استنطاق الآثار من خلال هذه المناهج الوضعية، وخاصة في معرفة تاريخ الإنسان على الأرض.

التطور العضوي والمعرفي:

من أهم المقولات النظرية التي يستخدمها المستشرقون والمتأثرون بهم في تفسير حياة الإنسان على الأرض مقولة "التطور" بشقيه العضوي والمعرفي، حيث يدعي هؤلاء أن الإنسان نشأ من سلالات أخرى(٣)، وهو ما يعرف بالتطور العضوي. ويدعي هؤلاء أن الإنسان تطور

---

(١) أرّخ كاتب السفر بموت أحد الحكام، يقول: "فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ" إش ٦: ١.

(٢) ينظر: "أزمنة العهد القديم" موقع الأنبا تكلا هيمانوت، أخذ بتاريخ ١٩/ ٦/ ٢٠٢٣:

https://2u.pw/uuZnX2t

(٣) هذا هو التعبير الذي استخدمه المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي" "تحدّر الإنسان": ينظر: "تاريخ البشرية" لأرنولد توينبي، ترجمة نقولا زيادة، (بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص٤٢.

معرفيًا حيث يزعمون أن الإنسان الأول كان بدائيًا، همجيًا، لا يعرف دينًا مشركًا. ثم تطور في أساليب المعيشة والأخلاق المدنية حتى وصل لما هو عليه اليوم[١]؛ وتطور في معرفته بالله، فالتدين نشأ تدريجيًا، الرسالات أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة مرحلة من مراحل الإنسان لا أنها موجودة مع الإنسان منذ كان، بل يدعون أن مبعث الرسالات هم البشر أنفسهم الأنبياء لا ربنا الله الكبير المتعال الذي يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس!

هذا هو التصور العام الذي يقدمه أرباب المناهج الوضعية لحياة الإنسان على الأرض.

وأستشهد بما ورد في كتابات ثلاثة من أشهر من كتبوا في تاريخ البشرية، أحدهم عالم الأنثروبولوجيا[٢] الإنجليزي الشهير "جيمس فريزر"[٣]، والثاني: المؤرخ الأمريكي

---

(١) المذكور في النص ليس مضطردًا عند غير المسلمين فثمة ما يناقضه وينقضه عندهم، مثل النظرية البنيوية والتي تنظر للأمور على أنها بنية لا أنها تعقدت بعد تبسيط تطورت. يقولون البنية العقلية للإنسان واحدة منذ كان. بل إن الإمكانات الذهنية للإنســان الغابي البدائي أعلى، وأن عقلية المرأة واحدة في كل زمان ومكان يدللون بحب الزينة عند النســاء مع اختلاف الزمان والمكان ينظر: "النظرية البنيوية الاجتماعية" موقع بوابة علم الاجتماع، أخذ بتاريخ ١/ ٧/ ٢٠٢٣ من الرابط: https://www.b-sociology.com/2020/01/blog-post_21.html

(٢) الأنثروبولوجيا هو علم دراسة الإنسان طبيعيًا واجتماعيًا وحضاريًا، ويدرسون واقع الناس دون إدخال أبعاد غيبية الوحي، وهذا المنهج في الدرس وما قاربه كالهرمنيوطيقا تأويل النص حســب الزمان والمكان الذي يقرأ فيه والفينومينولوجيا الوعي بالظواهر الاجتماعية وطريقة إدراك الشــخص لها وكيفية حضــور الظواهر في خبرته. تؤدي إلى إلغاء المعيارية وجود نموذج [معيار] يقاس عليه في فهم الوحي. ينظر: " الأنثروبولوجيا الإسلامية مقاربة في الاستشراق الجديد" لعامر عبد زيد الوائلي، أخذ بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٢٢ من الرابط: https://cutt.us/hpgOh .

(٣) أجلت ترجمته لصفحات لاحقة لمناسبة السياق.

"ديورانت"[١] صاحب كتاب "قصة الحضارة" وهو معني بتقديم سرد لأحداث التاريخ أو بالأحرى ظهور الحضارات واضمحلالها، والثالث: الإنجليزي المشهور "توينبي"[٢] والذي حاول تقديم رؤية فلسفية لصعود وهبوط الحضارات في كتابه "دراسة للتاريخ"؛ ونبين صدى هذه الأفكار في كتابات بعض من اشتهر من المسلمين بالكتابة في تاريخ الأديان كعباس العقاد.

الإنسان الأول:

يدعي "ديورانت" أن الإنسان بدأ حياته بالصيد ثم الرعي فالحرث ثم تعلم العيش في جماعات؛ ومن التقاليد والعادات الاجتماعية جاء تشريع الأخلاق. فعنده أن الإنسان الأول تطور من الحيوانات، وأخذ عاداته وتقاليده من حياة الحيوانات، يقول: "كان الزواج من ابتكار أجدادنا من الحيوان"[٣]!!

---

(١) ويليام جيمس ديورانت ١٨٨٥م-١٩٨١م، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته اليهودية أرئيل ديورانت ١٨٩٨م-١٩٨١م في تأليفه، تخرج من كلية القديس بطرس مدينة جيرسي سيتي / ولاية نيو جيرسي الأمريكية١٩٠٧م، وحصل على الدكتوراة في الفلسفة١٩١٧م من جامعة كولمبيا، ودرس فيها الفلسفة، ومن خلال محاضراته كتب عددًا من الكتب، من أهمها "قصة الفلسفة"، و"قصة الحضارة" ينظر: "من هو وول ديورانت" موقع أراجيك، أخذ من الرابط:
https://www.arageek.com/bio/will-durant

(٢) أرنولد جوزيف توينبي ١٨٨٩م-١٩٧٥، مؤرخ من أصل بريطاني، عمل أستاذًا للدراسات اليونانية والبيزنطية في جامعة لندن، ومديرًا لدائرة الدراسات في وزارة الخارجية البريطانية، قدم "دراسة للتاريخ" في اثنى عشر مجلدًا درس فيها صعود وهبوط الحضارات، ويرى أن الحضارات إلى أفول باستثناء الحضارة الغربية، وكتابه ومقولاته التفسيرية واسعة الانتشار. ينظر: "من هو أرنولد توينبي"، لفاتن دراج، أخذ بتاريخ٤/ ٧/ ٢٠٢٣، من الرابط:
https://2u.pw/5XUhLCv

(٣) ينظر: "قصة الحضارة" لِول وَايريْل ديورانت، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص١١.، وص٦٦. والنص المذكور من ص٦٦.

وتعرض لخلق آدام وغواية الشيطان له، وقد ذكرت في القرآن الكريم والعهد القديم، فزعم أنها من أساطير خرافات وأوهام الأولين أخذها اليهود ممن سبقهم، يقول: "كانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد. ولقد رأينا صوراً قديمة من هذه القصص فيما مر بنا من صفحات من هذا الكتاب، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أَسْرِهم. ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى"(١). وهو بهذا يتبنى الرؤية التي ذهب إليها "جيمس فريزر"(٢) في كتابه "الفولكلور في العهد القديم" حيث تمحور "فريزر" حول فكرة

(١) ينظر: "قصة الحضارة" لوِل وَايريْل ديورانت، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦٨. وقد وردت قصة بداية الخلق في سفر التكوين الإصحاح الأول والثاني. بروايتين مختلفتين. في الأولى يصوِّر الكاتب الله، جل جلال ربنا وتقدس سبحانه وبحمده، بصورة مجردة عن خيالات الإنسان تنزيه لله وفي الرواية الثانية يقدّم صورة حسية، فيها يتكلم ويشكّل الإنسان من طين، ويزرع جنة ويسير فيها، ويبحث عن آدم وحواء بين الأشجار.. وهذا التضارب أمارة على أنها كتبت بيد إنسان.

(٢) جيمس چورج فريزر ١٨٥٤م-١٩٤١م، عالم أنثروبولوجيا إنجليزي، حاول الربط بين السحر والدين، فزعم أن الدين حالة متطورة من السحر والشعوذة، انتشر أفكاره في بداية القرن العشرين ووجد صداها في كتابات كثيرين منهم ديورانت وتوينبي وتوفيق فهد. وللوقوف على ترجمة مفصلة له ولأفكاره الرئيسية ينظر مقدمة المترجم في: "الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين" لجيمس جورج فريزر"، ترجمة محمد زياد كبة، (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٣٢ه/ ١٤٣٢م)، ص٩،٨. وللوقوف على صدى هذه الأفكار في الكتابات العربية ينظر: "الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العراف، الرب، ذو إله، الحمس" لتوفيق فهد، ترجمة: حسن عودة- رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م)، وهو كتاب منتشر بين المهتمين بتقديم تفسير أرضي للنبوة وأنها تطوير للسحر والشعوذة!! وقد ناقشت هذا بالتفصيل في بحث آخر، ينظر: "مجتمع مكة والمدينة قبل القرآن وبعده" لإيناس جلال القصاص، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية أصول الدين =

رئيسية وهي أن ما ورد في "الكتاب المقدس"، وخاصة العهد القديم، من قصص وُجِدت في تراث الشعوب التي سبقت بني إسرائيل. واستنادًا إلى هذا التشابه يستنتج "فريزر" أن "الكتاب المقدس" جمّع وأُلف من تراث قديم وليس وحيًا من الله!!

يتخذ من تشابه القصص مع ما سبق في تراث الشعوب ومن تضارب الروايات في الأسفار دليلًا على أن الكتاب كتب بأيديهم وليس وحيًا من الله(١). وبعد قليل أقدم تفسيرًا آخر لهذا التشابه من خلال آيات الذكر الحكيم.

ولم يخرج المؤرخ الإنجليزي "أرنولد تونبي" عن هذه المفاهيم، فعنده أن الإنسان متحدر "من أشكالٍ من الحياة هي سابقة للبشر"، وأكثر من الحديث تحت هذا عنوان "تحدر الإنسان"(٢).

والدعوة الإسلامية بالمنوفية، والمنعقد بتاريخ١٣-١٤ شعبان ١٤٤٤ه، الموافق ٥-٦ مارس٢٠٢٣م، بعنوان: "النتاج العلمي التراثي والمعاصر في مرايا الباحثين"، وينظر: "الوحي في خطاب المتأثرين بأفكار المستشرقين والمبشرين"، لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات كفر الشيخ، عدد أكتوبر ٢٠٢٢. وينظر:"شبهات المعاصرين في ضوء فجائية الدعوة في القرآن الكريم" لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات- بني سويف قطاف: المجلد١٤، العدد ١٤، ديسمبر ٢٠٢١، الصفحة٢٥٥-٣٠٢.

(١) ينظر: "الفولكلور في العهد القديم" لجيمس فريزر، ترجمة نبيلة إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر،١٩٩٣م)، ج١، ص١١٠،١٠٩. وتحدث عباس العقاد عن تشابه حادث بين الأقوام السابقة في غضب الله على الجنس البشري بسبب ذنوبهم، وفي الحديث عن الثواب والعقاب وأسند ذلك للأساطير. كالذي يقول "فريزر" ينظر: "إبليس" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص٣٦، وص٤٢.

(٢) ينظر:"تاريخ البشرية" لأرنولد توينبي، ترجمة نقولا زيادة، (بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص٤٢.

والعجيب أن هذا المعنى بتمامه ظهر في كتابات بعض المسلمين[١] ممن اشتهروا بالكتابة في مواضيع القرآن الكريم والسيرة النبوية، وممن يظهرون دفاعًا عن الشريعة كعباس العقاد، فنجد إصرارًا من عبّاس العقّاد على وصف الإنسان الأول بـ "الهمجي"، وأن حياة الإنسان بدأت بالشرك، يقول: "ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات.. وينبغي أن تكون محاولات الإنسان في سبيل الدين أشق وأطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات"[٢]!!

وكأن الإنسان تعرف على الدين من تلقاء نفسه بعيدًا عن هداية الله له بمن أرسلهم من رسله!

وكرر ذات الكلام وزاد فيه في كتابه "إبليس" من المقدمة وعلى طول الكتاب، يقول: "قبل أن ننتقل إلى عقائد أهل الكتاب في قوة الشر العالمية نتريث هنا لحظة لتلخيص المرحلة الطويلة التي عبرها الإنسان في هذا الطريق، من خطواته الأولى حيث لا تميز بين خير وشر ولا بين إله

---

(١) يكتب عباس العقاد بروح الموافق والمدافع وليس الناقض للشريعة، ومع ذلك توافق مع الغربيين في كثيرٍ مما تحدثوا به مناقضًا للشريعة، وهذا يدل على عمق التغلغل لمفاهيم المستشرقين. ناهيك عن الذين لا يظهرون تدينًا في أشخاصهم أو أقلامهم فقد تبنوا الرؤية الغربية كما هي، ينظر: "الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره" لمحمد السيد غلاب، ويسري الجوهري، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م).

(٢) ينظر: "الله"، لعباس محمود العقاد، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع،)٢٠١٢، ص ١٥. وأكد هذا المعنى بكلمات متقاربة في خاتمة كتابه "إبراهيم أبو الأنبياء" ينظر: "إبراهيم أبو الأنبياء" لعباس محمود العقاد، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، "ص١٨٩-١٩٣. وفي مقدمة كتاب إبليس حيث ادعى أن الشيطان ظهر تدريجيًا بعد مرحلة خيالات وأرواح مر بها الإنسان، ووضع عنوان "قبل الشيطان" ينظر: "إبليس" لعباس محمود العقاد، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ص١٣.

وشيطان[١]، إلى غايته القصوى في حضارات الأمم القديمة حيث ظهرت ديانة التوراة، وهي أول الأديان الكتابية في التاريخ"[٢]. ثم يتابع حديثه عن "الهمجي الأول"، كما يسميه، وكيف أنه كان يؤمن بالأرواح والأشباح... إلخ، حتى تعرّف في الأخير على الله!!

وما تحدث به العقاد يتطابق بشكل كبير مع فرضية "التطور المعرفي" لـ "أوجست كونت[٣]".

هذا قول المستشرقين والمتأثرين بهم. وفي القرآن الكريم أن بداية خلق الإنسان من تراب، وأن الإنسان الأول هو آدم، عليه السلام، خلقه الله بيده، وعلمه، وأرسله فكان نبيًا مكلمًا معلمًا

---

(١) عند تدقيق النظر فيما كتب العقّاد نجد أنه جعل الشيطان مقابل "الله"، جل جلال ربنا وتقدس، فصنف كتابًا بعنوان: "الله" وكتابًا آخر بعنوان "إبليس" في سياق مناقشته للخير والشر في تاريخ البشرية، والحقيقة أن الله خالق كل شيء وأن الشيطان ومن استجاب لغوايته في وجه الأنبياء والذين اتبعوهم بإحسان، وربنا الكبير المتعال خالق كل شيء، لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة. وعباس العقاد دخل في سياق التبعية للمفاهيم الغربية، وللمزيد من مناقشة أفكار عباس العقاد، ينظر: "مناقشة هادئة لإسلاميات عباس العقاد"، لمحمد جلال القصاص، أخذ من الرابط:
http://saaid.org/book/open.php?cat=88&book=6308

(٢) عبَّاس محمود العقَّاد، إبليس، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣)، ص٦٢.

(٣) أوجست لويس كانت ١٧٩٨م-١٨٥٧م، فرنسي الجنسية، إليه ينسب تأسيس علم الاجتماع الحديث علم الاجتماع الغربي وهو الذي أطلق عليه هذا الاسم. وإليه، أيضًا، ينسب تأسيس الفلسفة الوضعية رؤية العالم على ما هو عليه. بمعنى العالم على وضعه المشاهد دون استحضار أبعاد غيبية، وفي فرضية "التطور المعرفي" يزعم أن المجتمعات الإنسانية مرت بمراحل ثلاث: المرحلة اللاهوتية وفيها يؤمن الإنسان بقوى وكائنات غيبية ويقسِّم هذه المرحلة إلى مرحلة الوثنية [عبادة الطبيعة والأشياء]، والشرك [عبادة "آلهة" كثيرة]، ثم مرحلة التوحيد أو التوافق على معبود واحد. ومرحلة الميتافيزيقية أو ظهور الدين وتطور مستوى التفكير بعض الشيء، ثم المرحلة الوضعية ويسميها العلمية الإيجابية وهي عنده مرحلة النضج الكامل وفيها يؤمن الإنسان بالمحسوسات دون الغيبيات. ينظر: عُلا التمام "مراحل تطور المجتمعات عند أوجست كانت"، موقع موضوع أخذ بتاريخ ٢١/ ٦/ ٢٠٢٣: https://2u.pw/nMA2jV8 ، وينظر: "الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها" لـ إلهام محمد فتحي شاهين، مجلة الفرائد- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، العدد السادس والثلاثون، ص٦٤٤- ص٧١١.

ولم يكن همجيًا كما يدعي هؤلاء. يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ، وفي الحديث" النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"[2]، ثم تحوَّل التراب إلى طين ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾[3]، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[4] ثم تحول الطين إلى حمأ مسنون، ثم تحول الحمأ المسنون إلى صلصال،﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[5] ، ثم التسوية، ثم النفخ،﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[6] ، وهذا الترتيب ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره، يقول: والأقرب أنه تعالى خلقه أولاً من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار"[7].

وكان الإنسان الأول آدم عليه السلام مُعَلَّمًا، نبيًا، مصطفى من الله، ولم يكن همجيًا مشركًا كما يزعم هؤلاء، يقول الله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ

---

(١) سورة الروم (٣٠): آية٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ينظر: "الجامع الكبير (سنن الترمذي)" للإمام محمد بن عيسى الترمذي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م)، ج٦، ص٢٢٥. وفي "العهد القديم" مثل ذلك: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً." سفر التكوين: ٢.

(٣) سورة الصافات (٣٧): من الآية١١.

(٤) سورة السجدة (٣٢): آية٧.

(٥) سورة الحجر (١٥): آية ٢٦.

(٦) سورة الحجر (١٥): من الآية ٢٩.

(٧) ينظر: "مفاتيح الغيب" للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ج١٩، ص١٤٢.

ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣ ﴾[١] . **واصطفاه الله من خلقه؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ﴾[٢]. والمعنى: "اصطفى آدمَ بالرسالة إلَى الملائكة وإلى ولده، واصطفى نوحًا وإبراهيم وآله بالرِّسالة. ألَا ترى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾"[٣]. فأمره الله تعالى أن يُنَبِئَ عنه ملائكته، وآل عمران هم آلُ إبراهيم عليه السلام[٤].**

هذا هو الإنسان الأول: خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه وعلّم به الملائكة ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[٥]، واصطفاه نبيًا، بمعنى أن الدين موجود مع الإنسان منذ كان ولم يظهر في مرحلة متأخرة كما يدعي مؤرخو الحضارة الغربية المعاصرة والمتأثرون بهم.

الرسل والديانات:

ادعى "جيمس فريزر" أن العقلي البشري مر بثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم. فعنده الدين مرحلة بعد السحر والشعوذة، والعلم مرحلة بعد الدين[٦]!!

---

(١) سورة البقرة(٢):آية ٣١ـ٣٣.

(٢) سورة آل عمران(٣):آية ٣٣.

(٣) ينظر:"معاني القرآن وإعرابه" للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). ج١، ص٣٩٩.

(٤) ينظر: "معاني القرآن وإعرابه "،للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجال(بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٣٩٩.

(٥) ينظر:"معاني القرآن وإعرابه" للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). ج١، ص٣٩٩.

(٦) ينظر:"الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين" لجيمس جورج فريزر"، ترجمة محمد زياد كبة، مرجع سابق.

ووافقه "ديورانت" فادعي أن الدين ظهر تدريجيًا بعد تكون المجتمعات البدائية، ظهر من "الخوف والدهشة والأحلام والنفس، والروحانيات"، وأن الإنسان بدأ بعبادة "المعبودات الدينية كالشمس والنجوم، والحيوانات، وعبادة الأسلاف"، ويسميها الديانات البدائية(١). وأن الرسالات ظهرت متأخرة بعد مرحلة من الشرك، وأنها الرسالات مجهود بشري قام به أشخاص الأنبياء، فمثلًا يقول عن موسى ونبي الله يوشع بن نون، عليهما الصلاة والسلام، : "كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والأناة، أما يشوع فلم يكن إلا جنديًا فظًا"(٢).

وعندنا أن موسى عليه السلام كان رسولًا من الله مؤيدًا بسلطان من الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾(٣)، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾(٤) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾(٥)، ويوشع بن نون هو فتاه المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾(٦)،وهو النبي الذي أرسله الله من بعد موسى عليه السلام والمذكور في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ

(١)ينظر: "قصة الحضارة" لول وَايريل ديورانت، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٢) ينظر: "قصة الحضارة" لِول وَايريل ديورانت، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٢٧.

(٣) سورة هود(١١): آية٩٦، وسورة غافر(٤٠):آية٢٣.

(٤) سورة المؤمنون(٢٣): آية٤٥.

(٥) سورة الزخرف(٤٣): آية ٤٦.

(٦) سورة الكهف(١٨): آية٦٠.

ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[1]، وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما[2]، و كتب الله هلاك الجبابرة ودخول الأرض المقدسة على يديه[3].

وحين تحدث عن البعثة المحمدية، تحدث وكأن رسول الله محمدٍ بن عبد الله ﷺ انطلق من بواعث ذاتية من شخصه ﷺ، لا أنه رسول أرسله الله رحمة للعالمين[4]. يقول في نهاية ما كتب عن شخص رسول الله ﷺ وهو يلملم أفكاره: "وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارةُ الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلَّ أن نجد إنسانًا غيره حقق كل ما كان يحلم به. وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين"، ثم يقول: "وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينًا سهلًا واضحًا قويًا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة القومية"[5].

---

(١) سورة البقرة(٢):آية ٢٤٦ .

(٢) ينظر:"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، ، (دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م)، ج٤، ص٤٣٧.

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣.

(٤) ثمة ملاحظة تستحق الاهتمام، وهي أن "ديورانت" و"جوزيف قذي" يرون في بعثة رسول الله ﷺ رحمة بالناس، ولكنهم يخصصون هذه الرحمة بقريش والعرب، وهذا صريح في كلام ديورانت، وجوزيف قذي ألف كتابًا كاملًا في هذا المعنى "نبي الرحمة" والحقيقة أن البعثة المحمدية كانت رحمة بالناس أجمعين، كما قال الله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء (٢١): آية ١٠٧ .ينظر:"منهجية المستشرقين في الاستدلال بالقرآن الكريم:جوزيف قَزِّي نموذجًا"، لإيناس جلال القصاص، مجلة الزهراء، المجلد٣٢، العدد٣٢، اكتوبر٢٠٢٢، ص٣٩٧-ص٤٤٢.

(٥) وِل وَايريْل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٤٧.

ومثله المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي" حال سرده لتاريخ الإنسان على الأرض أهمل الرسل وما أرسلوا به. بل استخف بهم، صلوات الله عليهم، ووصفهم بأنهم "أرباب الأساطير"[١]!!

وفي تفسيره أي توينبي للبعثة المحمدية ابتدع حديثًا عن سياق من الشحن التنظيمي والمعرفي في الجزيرة العربية انتهى ببعثة محمد ﷺ، وكأن النبي ﷺ بعث بدوافع أرضية من البيئة التي نشأ فيها. يقول: "وفي عصر النبي كانت الشحنة الروحية المتراكمة في الجزيرة العربية على وشك الانفجار. وجاءت رسالة محمد في الوقت المناسب. إذ تلقى هذه الشحنة فأحسن استعمالها، وذلك برؤيته النيرة وتصميمه وحكمته"[٢]

ولو أن النبي ﷺ[٣] انطلق من دوافع خاصة، بحثًا عن ذاته أو تألمًا لحال قومه، أو اندفاعًا بما تراكم من شحنات ثقافية وتنظيمية كما يدعي هؤلاء، لظهرت عليه أمارات البحثِ عن الذات والهمِّ الاجتماعي في شبابه حيث قوة واندفاع الشباب المواقف. ولذا أمره الله أن يحتج عليهم بهذا المعنى، يقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٤]. والمعنى: " أني لو كنت منتحلا ما ليس

---

(١) يتجاهل الرسالات في كتابه، ومن بعيد يشير إلى أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم بأنهم أرباب أساطير، ويعني بالأساطير الخرافات. ويقدم أسبابًا مادية لنهوض الأمم، مثل: الأرض الجديدة، والضربات، والضغط، والحرمان، ينظر: "بحث في التاريخ" لأرنولد توينبي، ترجمة طه باقر، مرجع سابق، ص١٣٣-ص٢٤٣.

(٢) ينظر: "بحث في التاريخ" لأرنولد توينبي، ترجمة طه باقر، مرجع سابق، ص٤٥١.

(٣) بادرت بالرد على هذه الشبهة حتى لا تستقر في ذهن القارئ، إذ أن ظاهر كلام "ديورانت" المدح وباطنه نفي الوحي.

(٤) سورة يونس (١٠):من الآية ١٦.

لي من القول، كنت قد انتحلته في أيّام شبابي وحَداثتي"[١]، والمعنى، كما عند الزجاج:"قد لبثت فيكم من قبل أن يوحى إلي لا أتلو كتابا ولا أخطه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إلي؛ إذ كنتم تعرفونني بينكم، نشأت لا أقرأ كتابا، وإخباري إياكم أقاصيص الأولين من غير كتاب ولا تلقين يدل على أن ما أتيت به من عند الله وحي"[٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[٣]. ومن الاستدلالات القوية التي كرها أهل العلم في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة أن النبيﷺ لم يتشبه بالمتدينين في الجاهلية، وهم الأحناف، ولم يكن عنده دراية بالنبوة كما في حالة أمية بن أبي الصلت مثلًا[٤].

ولم يدعُ رسول الله ﷺ إلى قوميّة عربية، بل دعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ ولم يعرّف نفسه إلا كرسولٍ من عند الله، وهو ما تجاهله "ديورانت" تمامًا، مع أن قَصْرَ صفة النبي ﷺ على الرسالة شديد الوضوح في القرآن الكريم فكل ما تكلَّمَ به محمدٌ بن عبد الله ﷺ وفَعَلَهُ، منزلٌ من الله. يقول الله تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٥] وتأمل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٦]. بمعنى

---

(١) ينظر:"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٥، ص٤١.

(٢) ينظر:"معاني القرآن وإعرابه" للإمام براهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٣، ص١١.

(٣) سورة الشورى (٤٢): آية ٥٢.

(٤) ينظر:"الخصائص الكبرى"، للإمام عبد الرحمن السيوطي، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٥) سورة النجم (٥٣): آية ٤.

(٦) سورة النمل(٢٧): ٩١ – ٩٢.

أنه ﷺ عليه وسلم أمر بتحقيق العبادة في شخصه الكريم وإبلاغ الناس رسالات ربهم مثل "الرسل الذين أنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وخَلَصُوا من عهدتهم"[١]. ومثله قول الله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[٢] . فالنبي ﷺ بدأ بعد أن أتاه مَلك الوحي جبريل عليه السلام برسالة من الله ليبلغها للناس:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ ﴾[٣] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[٤] ، "وفعل، صلوات الله وسلامه عليه، ما أُمر به؛ ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين، فقال: "إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ ". فقالوا: نشهد أنك قد بَلَّغت وأدَّيت ونصحت، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء، وينكبها عليهم ويقول: "اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد"[٥]. والمصلحون من أتباع الأنبياء يتحركون من منطلق الأمانة التي استحفظوا عليها كونهم ورثة الأنبياء، وأنهم مأمورون بالدعوة إلى الله، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[٦] ، والمعنى: "أدعو إلى الله وحده لا شريك

---

(١) ينظر: "تفسير القرآن العظيم"، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٦، ص٢١٨.

(٢) سورة الأنعام (٦): من الآية ٥٠.

(٣) سورة المدثر (٧٤): الآيات ١ – ٢.

(٤) سورة المائدة (٥): آية ٦٧.

(٥) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٢٧. والحديث في الصحيح، ينظر: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ)، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ج٢، ص٨٩٠.

(٦) سورة يوسف (١٢): آية ١٠٨.

له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، بذلك، ويقينِ عليمٍ منّي به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي"[١].

ويدَّعون أن الألوهية من صنع الإنسان، بمعنى أن كل إنسان له معبود خاص به، ولذا يكثر في حديثهم قول: "إله موسى" "إله بني إسرائيل". وتأمل هذا النص لعبّاس العقاد: يقول عن بني إسرائيل: "فعُبَّادِ يهواه لم يكونوا ينكرون وجوده ولا ينكرون وجودَ غيره، وإنما كان هو إلههم المفضل على غيره من الآلهة، كما كانوا هم الشعب المفضل على الشعوب، فالأرباب الأخرى عندهم موجودة كما يوجد إلههم يهواه...[٢]، ولكنها لا تستحق منهم العبادة؛ لأنها أرباب الغرباء والأعداء، وكل عبادة لها فهي من قبيل الخيانة العظمى وليست من قبيل الكفر كما فهمه الناس بعد ذلك، وغاية ما في الأمر أن طاعة الآلهة الغريبة هي كخدمة الملك الغريب.. نوع من العصيان والخيانة... لهذا لم يشغل أنبياء التوراة السابقون بإثبات وجود يهواه أو بإثبات وجود الأرباب على الإجمال، وإنما كان شغلهم الأكبر أن يتجنبوا غيرة يهواه وغضبه، وأن يدفعوا عن الشعب نقمته وعقابه، ولم يكن له عقاب أشد وأقسى من عقابه لأبناء إسرائيل كلما انحرفوا إلى عبادة إله آخر، من آلهة مصر أو بابل أو كنعان"[٣].

وإسرائيل هو يعقوب، عليه السلام، وكان نبيًّا موحدًا، وبنو إسرائيل هم أبناؤه[٤] وكانوا مؤمنين موحدين، وقيل بنبوتهم، ومنهم يوسف، عليه السلام، نبي من أنبياء الله. وموسى بن

---

(١) ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٦، ص٢٩١.

(٢) النقاط منه وليست مني.

(٣) ينظر: "الله" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص٢٠٩. وهو معنى متكرر عنده في عدد من كتبه.

(٤) يهود اليوم لا يصح نسب غالبيتهم ليعقوب عليه السلام فكل جماعة منهم يشكك بعضها في نسب بعض، فمن قديم تكلموا في أنساب يهود العرب، واليوم يتكلم في نسبهم العارفون بتاريخهم؛ يقولون: إنهم من قبائل أوروبا الشرقية دخلوا اليهودية متأخرين، ينظر: "اليهود أنثروبولوجيا" لجمال حمدان، (القاهرة، دار الهلال، ٢٠١٧).

عمران، عليه السلام، وعندنا أنه كان نبيًّا مرسلاً يأتي يوم القيامة ومعه السواد العظيم من المؤمنين الموحدين يدخلون جنةَ ربِّ العالمين، ولن يدخل الجنة مشرك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾(١)، وفي الحديث: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ»(٢)، وبعد موسى، عليه السلام، «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»(٣).

وجملةً: اصطفى الله بعض خلقه وأرسلهم للناس: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٤). وكل أمة جاءها رسول من الله يقول الله تعالى: "﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ٢٤﴾ وكل الرسل بعثوا برسالة التوحيد.. عبادة الله والكفر بما سواه: يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾(٥)، والاختلاف جاء في الشرائع التي تحكم تفاصيل الحياة، ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾(٦) . فكان على "فريزر" وعلماء الأنثروبولوجيا أن يفهموا من وجود مشترك بين الشعوب رغم تباعد الزمان والمكان أن كل الشعوب تعرضوا لمؤثر مشترك، وهو الرسالات .

---

(١) سورة المائدة(٥): الآية٧٢.

(٢) ينظر:" الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه " للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢)، ج٤، ص١٥٨، كتاب "أحاديث الأنبياء"، باب "وفاة موسى وذكره بعد"

(٣) ينظر: "الجامع الصحيح" للإمام مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، كتاب "الإمارة"، باب "الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول"، ج٦، ص١٧.

(٤) سورة النساء (٤): آية ١٦٥.

(٥) سورة النحل (١٦): آية ٣٦.

(٦) سورة المائدة(٥): من الآية ٤٨.

المبحث الثاني

الرسـل والشياطـين

يفسر المستشرقون صعود وهبوط الحضارات بعوامل مادية، فمثلًا: فسّر ديورانت صعود وهبوط الحضارات بما يسميه العوامل الطبيعة، يقول: " تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق"(١)، ويذكر أربعة عوامل لصعود الحضارات، أولها: العامل الجيولوجي فالحضارة عنده تنمو بعيدًا عن الجليد والزلازل، وثانيها عامل جغرافي، فعنده أن الحضارة لا تنشأ في الأقاليم الحارة(٢) ، وثالثها: ووجود قوة اقتصادية في المجتمع ولذا يستحيل عنده أن يتحول العربي البدوي "من الهمجية إلى المدنية تحولًا تامًا"(٣)، ورابعها: وجود نظام سياسي(٤).

وأما "توينبي" فقد حاول تفسير حركة الإنسان على الأرض في إطار الفعل ورد الفعل، ما يسميه بنظرية(٥) "التحدي والاستجابة"(٦). وفيها يفترض أن الأمم تبدأ في إنشاء حضارتها حين

---

(١) ينظر: "قصة الحضارة" لوِل وَايريْل ديورانت، مرجع سابق، ج١ ص٣.

(٢) يقول بقول ابن خلدون في "المقدمة الرابعة والخامسـة" من مقدمته للتاريخ، حيث يرى ابن خلدون أن المناخ يؤثر في أمزجة الناس وطبائعهم وأنه لا حضارة إلا حيث الاعتدال المناخي، وأن الخصب والجدب من عوامل ظهور وتراجع الحضـارات. ينظر: "العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم من ذوي الشـأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١، ص١٠٩-١١٤.

(٣) ينظر: "قصة الحضارة" لوِل وَايريْل ديورانت، مرجع سابق، ج١، ص٤..

(٤) ينظر: "قصة الحضارة" لوِل وَايريْل ديورانت، مرجع سابق، ج١، ص٣-٦.

(٥) والنظرية هنا بمعنى الفرضية، يتم افتراضـها من خلال القناعة ببعض المقولات التفسيرية التحدي والاستجابة هنا والتدليل عليها ببعض الظواهر الاجتماعية. ولا تكون مضـطردة غالبًا، إذ أن نظريات علم الاجتماع ليست حقائق علمية ثابتة. ويتضـح هذا من المناقشـة في النص أعلاه، ينظر:"علم الاجتماع: غبش في التصـور وتشـويش في النظرية"، لأحمد إبراهيم خضر، أخذ من موقع الألوكة بتاريخ٢٢/ ١٢/ ٢٠٢٢: https://cutt.us/FVt9x

(٦) ينظر:"بحث في التاريخ" لأرنولد توينبي، ترجمة طه باقر، (بيروت، الورّاق، ٢٠١٤)، ج١، ص١٣١- ١٦٤.

يمارس عليها نوعًا من التحدي يحفزها للاستجابة في اتجاه معاكس، ويذكر أن الضرورة هي أم الاختراع، وأن العناد العزم والإصرار أبوه، ومنهما الضرورة والعناد، أو التحدي والاستجابة تبدأ الحضارات[١].

وحين نفكر مليًا فيما يقول هؤلاء تجد أن الخلل الرئيسي عندهم في عدم الإيمان بالله، في أنهم لم يستضيئوا بنور الوحي ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾[٢]. ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[٣]. فغاب عنهم الخالق سبحانه وقضية الخلق.. أن كل شيء مخلوق وتحت مشيئة خالقه. فظنوا أن الناس وكلوا لأنفسهم؛ ومرد هذا الفهم لمصدر المعرفة الذي اعتمدوه، وهو الاعتماد على الـمُشَاهد ومحاولة تفسيره من عند أنفسهم، وفي هذا المبحث أحاول بيان مركزية الله في كل شيء فالله الخالق، والله المدبر، والله على كل شيء قدير؛ وبيان أن هؤلاء يتحدثون بغير علم، وأن صعود وهبوط الحضارات مرتبط بالإيمان والكفر، فالتاريخ صراع بين المؤمنين بالله وما أرسل به رسله من ناحية والشياطين والذين استجابوا لأهوائهم من ناحية أخرى.

مركزية الله، جل جلال ربنا وتقدس:

الأبرز في ذكر القرآن الكريم للأمم السابقة، أو لتاريخ الإنسان على الأرض، هو مركزية الله ربنا الخلاق العليم. وهذه بعض الآيات الكريمات لبيان أن هذا الأمر مضطرد بل يكاد يكون هو المعنى الأبرز في آيات الذكر الحكيم.

---

(١) ينظر: "بحث في التاريخ" لأرنولد توينبي، ترجمة طه باقر، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٢) سورة التغابن(٦٤): آية٨.

(٣) سورة النحل(١٦): من الآية٨٩.

من حيث العموم يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] ، ويقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2].

وفي قصة خلق الإنسان الأول: يقول الله تعالى:﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، ويقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾[3] ، ويقول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[4].

وفيما يتعلق بالرسل من حيث العموم:﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ ويقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ ﴾ ويقول الله تعالى:﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾.

وفيما يتعلق بأشخاص الأنبياء والصالحين وكيف أن إعدادهم كان ربانيًا ولم يكن من تلقاء أنفسهم: يقول في حق موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾، وفي حق يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، ومعنى ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ يعني: النبوة، إنه حباه بها بين أولئك الأقوام[5] ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾[6] ويقول الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ

(١) سورة غافر(٤٠):الآية٦٥.

(٢) سورة الصافات(٣٧):الآية٩٦.

(٣) سورة البقرة(٢): الآية٣٠.

(٤) سورة البقرة(٢): الآية٣١.

(٥) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م)، ج٤، ص٣٧٨.

(٦) سورة يوسف(١٢): آية ٢١.

بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ، **والتمكين هنا إشارة إلى جميل صنع الله به في حياته كلها**[١] **ويقول الله تعالى في حق لوط عليه السلام:** ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾، **والمعنى: "وآتينا لوطا** ﴿حُكْمًا﴾ **وهو فصل القضاء بين الخصوم،** ﴿وَعِلْمًا﴾ **يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه"** [٢]**؛ وفي حق الخضر، عليه السلام،** ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، **والمقصود بالرحمة النعمة وبالعلم علم الباطن إلهامًا ولم يكن الخضر نبيًا عند أكثر أهل العلم**[٣]**؛ وفي حق ذي القرنين يقول الله تعالى:** ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾، **والتمكين في الأرض جعل له مكانًا وأثبته فيه**[٤]

وفي حق الرسول ﷺ ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾[٥]، ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦] ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ

---

(١) ينظر: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، للإمام عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٨هـ)، ج٣، ص٣٣٤.

(٢) ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٦، ٣١٨.

(٣) ينظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، للإمام محمد الحسين بن مسعود البغوي، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٥، ص١٨٨.

(٤) ينظر: "مفاتيح الغيب" للإمام محمد بن عمر الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ١٤٢٠ه، ج١٢، ص٤٨٤.

(٥) سورة الأحقاف(٤٦): آية ٩.

(٦) سورة الحاقة(٦٩): الآيات ٤٤-٤٧.

عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ ﴾[١] . ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ ﴾[٢].

وفي حق بني إسرائيل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٣]، ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٤] . ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٥]. **فانظر كيف ينسب الله، جل جلاله، لنفسه الإرسال والإنباء، والتفضيل والنجاة.**

والآيات التي تدل على مركزية الله كثيرة جدًا، وخاصة فيما يتعلق بأخبار السابقين.

والمقصود هنا هو بيان غياب قضية الخلق بشقيها: الخالق والمخلوق، في مقابل حضور قضية التطور بشقيها: المعرفي والعضوي، والتعصب للتطور سببه، كما يبدو لي، عدم الرغبة في الإيمان بالله واليوم الآخر، أو بالرسالات عمومًا. أو حالة من الركون للإلف والعادة.

وفي القرآن الكريم ما يجعلنا نجزم أن هؤلاء يتحدثون بغير علم. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٦]، **ولذا كان أول سؤال سأله فرعون لموسى عليه السلام،** ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾.

(١) سورة الأعراف(٧):آية ١٠١.

(٢) سورة طه(٢٠):آية٩٩.

(٣) سورة البقرة(٢):آية ٤٧.

(٤) سورة البقرة(٢): آية ٥٠.

(٥) سورة المائدة(٥):آية ٧٠.

(٦) سورة القصص(٢٨) : الآية ٤٣.

وهذا الاستنباط يتوافق مع تقسيمهم للتاريخ إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل التاريخ ومرحلة ما بعد التاريخ، وقد وضعت الكتابة حدًا فاصلًا بين ما قبل التاريخ وما بعده. وسمي ما قبل التاريخ بالعصر الحجري. ولا يجدون في العصر الحجري إلا أدوات فقط، يقولون كانوا يستخدمونها، ورسوماتهم بدون أعضاء ذكرية مما يدل على تدين فطري[١].

أثر الشيطان في حياة الإنسان:

من أهم ما يمكن رصده في حياة الإنسان على الأرض وجود تشابه بين آثار السابقين مع اختلاف الزمان والمكان، وهذه بعض الأمثلة من حقول معرفية مختلفة لبيان التشابه في آثار السابقين رغم تباعد الزمان والمكان وأحاول عرض الأمثلة وتقديم تفسير لها وضمنًا أقدم نقدًا للذين خالفوا ما ورد في الذكر الحكيم من فهم لآثار السابقين:

المثال الأول: التشابه بين أصنام العرب وغيرها من معبودات الأمم التي سبقتهم بأزمنة بعيدة، ومن الأمثلة على ذلك التشابه بين "اللات" وبعض معبودات الفراعنة[٢].

المثال الثاني: تكرار الرواية النصرانية عن التجسد والصلب من أجل الفداء عدة مرات في أماكن متفرقة وأزمنة متباعدة قبل المسيح عليه السلام[٣].

---

(١) ينظر: " الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره" لمحمد السيد غلاب، ويسري الجوهري، مرجع سابق، ص١٨-ص٣٦.

(٢) ينظر: "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لجواد علي، (بيروت، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١١، ص٢٣٣.

(٣) ينظر: "المسيحية قبل المسيح: المخلصون الستة عشر المصلوبون فداءً للبشر"، موقع طريق الإسلام أخذ بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٢٣، من الرابط: https://2u.pw/EXIDAbv .

وهو عرض لكتاب "المخلصون من «الخطيئة الأولى» الستة عشر الذين ماتوا على الصليب في العالم"، لكيرسي جريفز١٨١٣-١٨٨٣م . وتم تأليف الكتاب للقول بأن شخص المسيح، عليه السلام، لم يكن حقيقيًا وإنما قصة أسطورية تكررت عدة مرات. وهذا مذهب الذين يعتمدون على الوثائق المكتوبة كبيِّنة للتاريخ، والذين يعتمدون على التشابه في القصة بين عصور مختلفة للقول بأن القصة "أسطورة" بمعنى خرافة أو من الخيال. والكتاب بالإنجليزية عام =

المثال الثالث: ادعاء التطور بين المخلوقات، بمعنى استحالة (تحول) بعض المخلوقات لمخلوقات أخرى(١). هذه التي اشتهرت منسوبة لدارون. فالحقيقة أنها وجدت من قبل في أزمنة عديدة وأماكن متفرقة، فممن قال بها قبل "دارون" ابنُ خلدون في مقدمته للتاريخ، يقول: "اعلم أرشدنا الله وإياك أننا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمسببات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات

٢٠٠١ كاملًا، وحدث تفاعل كبير معه في سياق تأويل قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾، سورة التوبة(٩): آية٣٠.

(١) . ولا تقلُّ فكرة التطور، عند الغربيين، أهميةً عن القول بحتمية الواقع، وذلك أن التطور يرسخ مفهوم استمرارية الحياة الدنيا، فالتطور يعطي تصورًا مفاده أن حياة الإنسان على الأرض حلقة من مليارات الحلقات، وسيتطور لغيره كما تطور غيره إليه، فلا معنى للحديث عن فناء الدنيا وإنما الدخول في أشكالٍ أخرى، هذا ملخص فكرة التطور، وهي فكرة شيطانية أملاها الشيطان على نفرٍ قبل ابن خلدون ودارون كما هو موضع في النص.

إلى بعض، .."[١] ، وقال بها إخوان الصفا في رسائلهم[٢]، وابن مسكويه في تهذيب الأخلاق[٣]، وابن طفيل في حي بن يقظان[٤]، والقزويني في عجائب المخلوقات[٥]، وأرسطو في تصنيفه (ترتيبه) للمخلوقات. بمعنى أنها فكرة منتشرة في أماكن متفرقة وأزمنة متباعدة فكيف قال بها هؤلاء مع تفرقهم؟! وخاصة أن القول بها ليس مضطردًا؟!

وفسر بعض المختصين التشابه بين معبودات السابقين بتمدد الحضارات، بمعنى أن غلبة شعب من الشعوب على غيره جعلت ما اشتهر به الغالب من أصنام وأنصاب تتواجد عند شعوب

---

(١) ينظر: " العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج١، ص١٢٠.

(٢)يُرجِّح المؤرخون أن "إخوان الصفا وخلّان الوفا" ينحدرون من الطائفة الإسماعيلية، ولا يُعرف أشخاصهم ولا سكنهم ولا عددهم. ورسائلهم اثنتين وخمسين رسالة، حاولوا فيها تقديم رؤية توافقية بين الإسلام ومختلف الملل الموجودة وقتها، أو حاولوا "أن يصبغوا ما انتهى إلى المسلمين من آثار الأمم الأخرى صبغة إسلامية" كما يذكر طه حسين في ترجمته لهم. بمعنى أسلمة الملل الأخرى أو دمجها في الإسلام. ينظر: "رسائل إخوان الصفا وخلّان الوفا" لإخوان الصفا، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)، وفي الجزء الأول من الطبعة المشار إليها ترجمة طه حسين وأحمد زكي باشا لهم. وفي الترجمتين، بالترتيب: بيان للمحتوى والسياق الذي أخرج هذه الرسائل في حينها، وبيان لاهتمام المستشرقين بهذه الرسائل.

(٣) ينظر: " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" لأحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، (القاهرة، المطبعة الحسينية،١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

(٤) ينظر: "حي بن يقظان"، لمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي، (بيروت، دار الهلال، ١٩٩٣م).

(٥) ينظر: " عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات" لزكريا بن محمد القزويني، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

أخرى. من هؤلاء عبّاس العقّاد وسيد القمني[١]. وفي مقدمته للتاريخ رفض ابن خلدون القول بوجود تمدد حضاري وكذّب، أو شكَّك، في مثل هذه الأخبار وعلل بأن عامة كُتَّاب التاريخ، الإخباريين كما يسميهم، يتوهمون الصدق، وبعضهم يتقرب لأهل التجِلَّة والمراتب (السلطة، والملأ) بالمدح والثناء وتحسين الأحوال، ويجهلون "قوانين الاجتماع الإنساني" الثابتة والتي يجب أن نعرض عليها الأحداث ونأخذ ما توافق معها [٢].

والحقيقة أن التشابه حاصل ولا سبيل إلى إنكاره، وأن تفسير التشابه بالغلبة والتمدد بعيد، والدليل على ذلك أن سلطان فرعون، مع قوته وتجبره، لم يتجاوز أرض مصر المعروفة الآن،

---

(١) قال بهذا عباس العقاد في كتاب "إبليس"، وهذا المعنى موجود عند سيد القمني وهو يتحدث عن أصول العماليق وجرهم ينظر: حيث ادعى أن الشيطان ظهر تدريجيًا بعد مرحلة خيالات وأرواح مر بها الإنسان، ووضع عنوان "قبل الشيطان" ينظر: "إبليس" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص٤١. وينظر: "النبي إبراهيم والتاريخ المجهول" لسيد محمود القمني، (المملكة المتحدة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧)، ص٩٠، وقبل- هذه الصفحة- صفحات طوال يتحدث فيها عن هجرة المصرين للجنوب. وكذا وهو أي سيد القمني يتحدث عن وجود مقابر ذات شكل هرمي في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية، يستدل بذلك على تمدد المصريين الفراعنة في الجزيرة العربية، وكأن الجزيرة العربية كانت قبل خليةً حتى انتشر فيها المصريون وعمروها، ينظر: سيد محمود القمني "النبي إبراهيم والتاريخ المجهول"، (المملكة المتحدة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧)، ص٩٧-٩٩.

(٢) ضرب مثالًا بـ: المبالغة في عدد جيوش بني إسرائيل في عهد موسى وسليمان، عليهما الصلاة والسلام والتي ذكرت في العهد القديم. وتمدد تتابعة اليمن تجاه الغرب المغرب العربي والشمال أرض الترك، وأنكر ما ذكره المفسرون في وصف مدينة [إرم ذات العماد]، وأنكر نكبة البرامكة، وأنكر الطعن في نسب العبديين الفاطميين. ينظر: "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من زوي الشأن الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١ المقدمة، ص١٣-٣٦.

ودليل ذلك قول الرجل الصالح لموسى عليه السلام بعد أن ورد ماء مدين(١) الأردن الآن نجوت من القوم الظالمين فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢).

وإن من أفضل ما يُفسر به هذا التشابه، بعد توافق بعض النفوس الشر(٣)، هو وساوس الشيطان. وهذه حقيقة شديدة الوضوح في كتاب الله. ففي القرآن الكريم أن الشيطان سبب رئيس في ظهور الكفر والعصيان. ليس فقط بالوسوسة وتزيين الباطل وإنما، أيضًا، تواجدَ الشيطان عمليًا بشخصه متمثلًا في هيئة بشر ويعمل على غرس الكفر والعصيان، وإليك أمثلة تبين حضور الشيطان كسبب رئيس في ظهور المعاصي وما يترتب عليها من فسادٍ في الأرض ومن ثم هلاك المفسدين واستبدالهم، وهذا الظهور كان بالوسوسة الوحي وتزيين الباطل وكان، أيضًا، بالفعل، وهذه بعض الأمثلة منذ خلق الله الإنسان:

وسوس الشيطان لآدام وحواء، وعالجهما بالقسم حتى عصيا ربهما وخرجا من الجنة: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ

---

(١) و"مدين على بحر القلزم [البحر الأحمر حاليًا] محاذية لتبوك على نحو من ســت مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي اســتقى منها موســى، عليه الســلام، لسـائمة شـعيب" "ومدين اســم القبيلة، وهي مدينة قوم شـعيب ســميت بمدين بن إبراهيم، عليه السلام"" وقيل: مدين هي كفر مندة من أعمال طبرية". ينظر: "معجم البلدان" لياقوت بن عبد الله الحموي (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م)، ج٥، ص٧٧، ٧٨.

(٢) سورة القصص(٢٨) : الآية ٢٥.

(٣) توافق بعض النفوس في الشر مثل توافقهم مع اختلاف زمانهم ومكانهم على اتهام الرسل بالسحر والجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ سـورة الذاريات(٥١): الآيات٥٢-٥٣ فهذا التوافق مبعثه مرض النفس .

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾[١] و"الوسوسة الحديث في إخفاء همسا وأسرارا"[٢] و ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾ خدعهما بزخرف من القول باطل[٣]. فهنا حضور للشيطان بالوسوسة، وفي الأمثلة التالية حضور فعلي.

في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴿٣٣﴾﴾ أورد أهل التفسير أن بداية ظهور الفاحشة في أبناء آدام الأُول من شخص إبليس، حيث "إن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة فتتبرج الرجال للنساء، قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتي أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، فظهرت الفاحشة فيهم"[٤].

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ ذكر أهل العلم أن شخص الشيطان هو الذي صور الصالحين لقوم نوح، عليه السلام،[٥] وما زال بهم حتى عبدوهم[٦].

---

(١) سورة الأعراف (٧):الآيات١٩ ـ ٢٢.

(٢)ينظر: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨، ج٣، ص٨١٥

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٠، ص١١٠.

(٤) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١٩، ص٩٨.

(٥) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج١٨، ص٣٠٧.

(٦)ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج٢٣، ص٣٠٣.

وظهرت الفاحشة في قوم لوط، عليه السلام، ولم تكن فيمن قبلهم ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ ﴾(١) . وذكر أهل العلم أن بداية ذلك من إبليس نفسه حين تمثل لهم غلامًا حسن المنظر ومكنهم من نفسه(٢).

ومن خلال تتبع ظهور الشرك في الجزيرة العربية نجد أن الشيطان كان سببًا ظاهرًا في ذلك، فقد ورد في السيرة أن الشيطان جاء عمرو بن لحي وكان له رئي من الجن فقال " عجل السير والظعن من تهامة(٣) بالسعد والسلامة ائت جدة ، تجد أصناما معدة فأوردها تهامة ولا تهب وادع العرب إلى عبادتها تجب " فأتى جدة فاستثارها، ثم حملها حتى أوردها تهامة"(٤). والشيطان هو الذي غيَّر تلبية التوحيد إلى تلبية الشرك، "وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال ما هذا؟ فقال الشيخ قل تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب"(٥) .

---

(١) سورة العنكبوت (٢٩):الآية٢٩.

(٢) ينظر: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ)، ج٣، ص٤٩٦.

(٣) وتهامة من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، ويقصد بها الأرض المنكفئة إلى البحر الأحمر من جهة الشرق وتمتد من الأردن شمالاً إلى اليمن جنوبًا، ينظر: ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥)، ج٢، ص٦٤.

(٤) ينظر: "مختصر سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم"، لمحمد عبد الوهاب التميمي، (الرياض، وزارة الشئون الإسلامية، ١٤١٨هـ)، ص٧٣.

(٥) ينظر: "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام" لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٦٦.

ووُجِدَ الشيطانُ في الأصنام وتكلم للمشركين منها.. كأنها حالة من استجابة الصنم لمن يعكف عليه متعبدًا. وذكر ذلك في أخبار هدم الأصنام بعد فتح مكة وفيها أن امرأة خرجت من هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها تخمش وجهها وتضرب صدرها، وقد جاء في الحديث أنه الشيطان(١) .

وانتشرت الكهانة في الجزيرة العربية، وعظم العرب الكُهَّانَ فكانوا يتحاكمون إليهم(٢). وحين التأمل في الكهانة كحالة نجد أنها إملاءات الشياطين على الناس فالكاهن هو ولي الجنّ كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) ؛ أو الكهان هم رسل الشياطين، تتنزل عليهم، وتوحي إليهم، يقول الله تعالى:﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾(٤)

وصف الله من تتنزل عليهم الشياطين الكهان بالإفك والإثم، والإفك نوع خاص من الكذب؛ كَذِبٌ يقصد منه صاحبه صد الناس عن الحق (٥)، فالأفاك هو الكذّاب الذي يعرف الحق

(١) ينظر: "البداية والنهاية" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤ه/ ١٩٩٧م، ج٦، ص٦٠٨.

(٢) ينظر: الإمام ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص ٢١٩.

(٣) ينظر:" الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه " للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الطب، باب الكهانة، ج٨، ص١٣٦ . والكهان ليسوا سواء منهم من يدعي الاتصال بالجن يعرف منهم الغيب ـ بزعمه ـ ومنهم من لا يدعي الاتصال بالجن، وهناك العراف والمنجم وهما غير الكاهن. ينظر: "شرح صحيح مسلم" للإمام يحي بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، (بيروت، دار إحياء التراث، ط١٣٩٢هـ)، ج١٤، ص٢٢٣.

(٤) سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١-٢٢٣.

(٥)ومادة أَفَكَ تدور على القَلْبِ والصَّرْفِ، قَلَبَ الشيءَ عن وضعه الطبيعي أو صرفَ الإنسان عن الشيء، ومن ذلك قول الله تعالى {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} [سورة النجم(٥٣):الآية٥٣] والمؤتفكات هي قرى قوم لوط سميت بذلك لأن الله

=

ويصد الناس عنه، والأثيم هو كثير الإثم والفجور. ولذا عرف العلماء الكهان بأنهم قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطبائع نارية، يفزعون إلى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات(١).

وبعد أن بعث الله محمدًا ﷺ وقف الشيطان في صف الكافرين وهم يجادلون ويقاتلون النبي ﷺ ومن آمن معه. بمعنى أن الشياطين تواجدت مع الكافرين ضد المؤمنين في المستوى النظري الجدال والمستوى العملي القتال، وهذه بعض الشواهد على حضور الشياطين في المستوى النظري.. الإيحاء بالشبهات والحض على المعصية.

قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢) و ﴿أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ تعني تلاوته(٣)، يلقي الشيطان في أسماع أوليائه ما لم يقله النبي ﷺ ، فيمحو الله أثر هذا الإلقاء ويحكم آياته. وهذا مما كثر حوله الحديث

قلبها عليهم، وقول الله تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }[سورة الأحقاف(٤٦):الآية٢٢]، أي تصرفنا، والمأفوك هو المصروف {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ }سورة الذاريات(٥١):الآية ٩] أي يصرف عنه من صُرف. ينظر: "لسان العرب" لمحمد بن مكرم بن منظور، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج١٠، ص٣٩١ .

(١) قول الخَطَّابي ينقله ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري"، ينظر: "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، للإمام بن حجر العسقلاني، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص٢١٧. ولمزيد من أخبار الكهان ينظر: د. جواد علي، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٤٧.

(٢) سورة التكوير(٨١): آية٢٥.

(٣) ينظر: "معاني القرآن" للإمام يحي بن زياد الفراء، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٤٣١هـ، ج١، ص٤٩.

من المستشرقين و"المنصرين" يقولون بأن الشياطين أوحت للنبي ﷺ، وهذا بعيد تمامًا وإنما ألقت في أذن أوليائها ما لم يقله النبي ﷺ فيمحو الله ما ألقوه ويحكم آياته[1].

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[2]؛ والمعنى :" أي يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدال بالباطل"[3]؛ وقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾[4] "والمقصود ب ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ "الشياطين التي تضل الإنس، وشياطين الجن الذين يضلون الجن، يلتقيان فيقول كل واحد منهما: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا، فيعلم بعضهم بعضا "[5]. وقول الله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾، ومعنى "اتخاذ الشياطين أولياء من دونه، وذلك بموافقتهم لها فيما توسوس به

---

(١) ينظر: "أسباب النزول" لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ص٣٢٠.

(٢) سورة الأنعام (٦):من الآية ١٢١.

(٣) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٧، ص٧٧.

(٤) سورة الأنعام(٦):من الآية ١١٢.

(٥) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج٩، ص٤٩٨.

إليهم"[١]، وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾، "والأز والهز التحريك أي تحركهم وتحثهم على المعاصي "[٢]

وفي المستوى العملي: شاركت الشياطين الكافرين صدهم عن سبيل الله، ومن أمثلة ذلك حضور الشيطان بيعة العقبة الثانية ومحاولته إفشال البيعة بالنداء على قريش. يحاول استنفار مَن بالموسم من الحجيج ليقاتلوا النبي-ﷺ- ومن بايعه من الأنصار[٣].

وفي يوم بدر جاء قريشًا في صورة سراقة بن مالك الجشعمي، يؤمنهم من غدر أعدائهم من القبائل إن هم خرجوا لقتال محمدٍ ﷺ وأصحابه ﷺ، وظلّ معهم إلى أن تراء الجمعان وفرّ حين رأى الملائكة[٤]، وهذا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾[٥].

وفي يوم أحد حضر الشيطان، وهذا في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

---

(١) ينظر: "لطائف الإشارات" للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١هـ)، ج٣، ص٣٤٣.

(٢) ينظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" للإمام الحسين بن مسعود البغوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٣، ص٢٥١.

(٣) ينظر: "السيرة النبوية لابن هشام"، لعبد الملك بن هشام، (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥)، ج١، ص٤٤٧.

(٤) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ج١١، ص٢٢٢.

(٥) سورة الأنفال(٨):آية ٤٨. وينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي، مرجع سابق، ج٨، ص٢٦.

حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[١]. وفي الآية الكريمة "استئناف لبيان سبب الهزيمة الخفي، وهي استزلال الشيطان إياهم"[٢]

ارتباط صعود وهبوط الحضارات بالإيمان والكفر:

في القرآن الكريم أن عمار الأرض (صعود الحضارات) إنما يتحقق بتحقيق الإيمان بالله وما أنزل على رسولهﷺ وتحقيق التقوى (امتثال الأوامر واجتناب النواهي)، يقول اللهُ تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم أَقَامُواْ ٱلتَّورَىٰةَ وَٱلإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِم لَأَكَلُواْ مِن فَوقِهِم وَمِن تَحتِ أَرجُلِهِم﴾[٣]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤]، وقول الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱستَغفِرُواْ رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيهِ يُمَتِّعكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّى وَيُؤتِ كُلَّ ذِي فَضلٍ فَضلَهُ﴾[٥] ﴿فَقُلتُ ٱستَغفِرُواْ رَبَّكُم إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا. يُرسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيكُم مِّدرَارًا. وَيُمدِدكُم بِأَموَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجعَل لَّكُم جَنَّٰتٍ وَيَجعَل لَّكُم أَنهَارًا﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱستَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[٧]، فالإيمان والتقوى يؤدي إلى وفي هذه الآيات البينات عدد من المعاني، أهمها: شمولية وعموم الرزق في حال تحقيق التقوى مِن فَوقِهِم وَمِن تَحتِ أَرجُلِهِم، مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، يُرسِلِ

(١) سورة آل عمران(٣):الآية ١٥٥.

(٢) ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"/ التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ج٤، ص١٣٩.

(٣) سورة المائدة(٥):من الآية ٦٦.

(٤) سورة الأعراف(٧):آية ٩٦.

(٥) سورة هود(١١):من الآية٣.

(٦) سورة نوح(٧١):الآيات١٠ -١٣.

(٧) سورة الجن(٧٢):آية ١٦.

ٱلسَّمَآءَ، وكأن الخير المطر سينزل من السماء كلها لا من السحب وحدها، ومثله: مَّآءً غَدَقًا وتعني الماء الكثير وإن لم يكن مطرًا [١]، كماء الأنهار والعيون التي تتفجر من الصخر والرمال؛ وقال بعضهم معناه من غير كَد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء، وقال بعضهم: معناه: لكانوا في الخير، كما يقول القائل: "هو في الخير من قرنه إلى قدمه"[٢]. فالجدب الذي يتحدث عنه ديورانت وغيره كسبب من أسباب زوال الحضارات سببه عدم تحقيق الإيمان، أو أن تحقيق الإيمان يرسل السماء مدرارًا.. يأتي بماءٍ غدق. ومع الكثرة البركة، وتعني اللزوم والثبات، بمعنى ثبوت الخير الإلهي في الشيء[٣]، ويكون المعنى: تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الأرض ورفعنا عنهم القحط والجدب[٤].

وفي المقابل جُعلت المعصية سببًا مباشرًا لتخريب العمران هبوط الحضارات، يقول الله تعالى:

---

(١) ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن"، للإمام محمد ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢٣، ص٦٦٤.، وينظر: "معاني القرآن وإعرابه"، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٣٦٠. وينظر: "مفاتيح الغيب التفسير الكبير، لـ الفخر الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه)ـ، ج١٢، ص٣٩٩.، وينظر: "تاج العروس من جواهر القاموس"، لـ محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، (بيروت، دار الفكر العربي،١٤١٤هـ)، ج١٣، ص٣٧٠.

(٢) ينظر: "تفسير القرآن العظيم"، لإسماعيل بن عمرو بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٣، ص١٤٨.

(٣) ، ينظر: "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٠٩.

(٤) ينظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل"، لـعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص٢٦٦.

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١) ، والمعنى: أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي(٢)، أو استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها، وقوله تعالى: ﴿ لِيُذِيقَهُمْ ﴾ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجًا من جزاء أعمالهم في الدنيا(٣).

وسمَّى اللهُ الكافرَ مفسدًا، بل المفسدَ ب أل التعريفيةِ. كأنْ لا مُفسدَ غيرهُ(٤)، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾(٦). وبلسانهم ادعى المنافقون الإصلاح ولكن الله العليم الخبير وصفه سعيهم بالفساد مع أنهم ادعوا الصلاح، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ

---

(١) سورة الروم(٣٠): الآية٤١.

(٢) ينظر: "تفسير القرآن العظيم"، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٦، ص٣٢٠.

(٣) ينظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، لعبد الرحمن ناصر السعدي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٦٤٣.

(٤) ينظر: "الكشف والبيان"، لأحمد بن محمد الثعلبي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٥، ص١٣٣.

(٥) سورة ال عمران(٣): الآية ٦٣.

(٦) سورة يونس(١٠): آية٤٠.

قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾[١]، والفساد هنا هو الكفر والعمل بالمعصية[٢]، سمُّى الشيءَ بسببهِ.

وفي القرآن الكريم أن تغير الحال من صعود لهبوط إنما يكون بالكفر والعصيان، يقول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرضَ أَو يَأتِيَهُمُ ٱلعَذَابُ مِن حَيثُ لَا يَشعُرُونَ. أَو يَأخُذَهُم فِي تَقَلُّبِهِم فَمَا هُم بِمُعجِزِينَ. أَو يَأخُذَهُم عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُم لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]، والمعنى: يتنقصهم شيئًا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا[٤]. ويقول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا قَريَةً كَانَت ءَامِنَةً مُّطمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَت بِأَنعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلجُوعِ وَٱلخَوفِ بِمَا كَانُواْ يَصنَعُونَ ﴾[٥] ، والمراد مكة المكرمة فقد "كانت آمنة مطمئنة" ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آَمِنًا﴾[٦] ، وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آَمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾[٧] ؛ ﴿ويأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ كما قال الله يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٨] ؛ "فكفرت بأنعم الله" كما قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) سورة البقرة(٢):الآيات ١١-١٢.

(٢) ينظر: "تفسير القرآن العظيم"، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج١، ص١٨٠.

(٣) سورة النحل(١٦):الآيات ٤٥-٤٧.

(٤) ينظر: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج٢، ص٥٦٨.

(٥) سورة النحل(١٦):من الآية١١٢.

(٦) سورة القصص(٢٨):من الآية ٥٧.

(٧) سورة العنكبوت(٢٩):الآية ٦٧.

(٨) سورة القصص(٢٨):من الآية ٥٧.

الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾(١)، فأدى العصيان إلى خراب العمران، فحين عصوا كانت النتيجة، ﴿فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾، وذلك حين دعا عليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: "اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف"(٢). والمعنى هذا حالها مع أنها بجوار البيت الحرام فكيف بغيرها من القرى(٣). وقيل قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة، وهذا أظهر، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم (٤).

وجاء في بيان هلاك الأمم السابقة قول الله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾(٥)، والمعنى: تبين لكم خرابُ مساكنهم وخلاؤُها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سَطْوتنا بجميعهم(٦). ويقول الله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾(٧). وظلم

---

(١) سورة إبراهيم: آية٢٨.

(٢) ينظر: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري"، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب الآذان، باب يهوى بالتكبير حين ينزل، ج١، ص١٦٠.

(٣) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج١٠، ص١٩٤.

(٤) ينظر: "التسهيل لعلوم التنزيل"، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ، ج١، ص٤٣٧. وينظر: "النكت في القرآن الكريم"، لعلي بن فَضَّال القيرواني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٢٨٦.

(٥) سورة العنكبوت(٢٩):الآية ٣٨.

(٦) ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن"، لمحمد بن جرير الطبري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢٠، ص٣٤.

(٧) سورة سبأ(٣٤):من الآية١٩.

النفس في الآية الكريمة بوضع الكفر موضع الشكر، وكانت النتيجة أن خرب العمران وصاروا مثلًا وعبرة لغيرهم[١]، وليس فقط تخريب العمران وإنما أصاب مَن كفر حالة من الألم النفسي، ويفهم ذلك من استعمال لفظ التمزيق، فكأنهم انتزعوا انتزاعًا كما يحدث التمزيق الحسي[٢].

وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"[٣]، والخَبَث الفسوق والفجور، وقيل المراد الزنى خاصة وقيل أولاد الزنا. والظاهر أنه المعاصي مطلقًا[٤]. وهذا ربط واضح بين هلاك الأمة (تخريب عمرانها) وظهور المعصية فيها، وهذا المعنى (الربط بين المعصية وزوال الحضارات) مضطرد في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[٦].وقوله تعالى:﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ

---

(١) ينظر: "غرائب الفرقان ورغائب الفرقان"، لـــنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٥، ص٤٩١.

(٢) ينظر: "وظيفة الصور الفنية في القرآن الكريم"، عبد السلام أحمد الراغب، (حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص٦٩.

(٣) ينظر: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري"، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج٤، ص١٣٨.

(٤) ينظر: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، يحي بن شرف النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج١٨، ص٣.

(٥)سورة الأعراف (٧): آية٤.

(٦) سورة الأنفال (٨): آية٥٤.

ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا. فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[3].

والمقصود هو بيان أن الكفر بالرسل والرسالات سبب رئيس في زوال الحضارات، أو تغير حال الإنسان على الأرض للأسوأ. وذلك أن الإنسان في حياته محكوم بشريعة النص (الإرادة التكليفية التشريعية) ومحكوم، كذلك بشريعة القدر (الإرادة القدرية التكوينية)، فإن خالف السنة التشريعية وقع تحت السنة القدرية التي لا تتغير ولا تتبدل[4]، يقول الله تعالى: ﴿فَهَل يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَبدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللهِ تَحوِيلًا﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء(٢١): آية١١.

(٢) سورة القصص(٢٨): آية٥٨.

(٣) سورة الطلاق(٦٥):آية٨، ٩.

(٤) للتفريق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية والصلة بينهما، ينظر: "الموافقات"، لإبراهيم بن موسى بن محمد الإمام الشاطبي، (القاهرة، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج ٣ ص٣٧١، و ص ٣٧٣، و ص ٥١٥، ج ٥، ص ٦٩-٧٠.

(٥) سورة فاطر(٣٥):من الآية ٤٣. ولمزيدٍ من البيان حول هذه النقطة ينظر: "عمارة الأرض بين منهجين" لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة دمنهور عدد يونيو ٢٠٢٢م.

الخاتمـــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:

مما سبق نستطيع أن نجيب على سؤال الدراسة كيف نفهم حياة الإنسان على الأرض من خلال آيات الذكر الحكيم؟ بأن الإنسان من خلق الله، خلقه الله من تراب، وعلمه، وفضله على كثير مما خلق تفضيلًا، ولم يتركه سدى. بل أرسل له الرسل تحدثه عن الله خالقه، وخالق الكون كله، وتحدثه عن مآله بعد الموت، وما ينتظره من الثواب أو العقاب، وتحذره من وساوس الشياطين وأنهم يدعونهم ليكونوا من أصحاب السعير. وتبين لهم أن الطاعة تؤدي إلى الازدهار والتمكين في الأرض وأن المعصية تؤدي إلى خراب العمران.

ومن أهم النتائج المستخلصة:

١) يوجد منهجان لفهم وتفسير حياة الإنسان على الأرض، منهج وضعي يتخذ من الآثار المشاهدة مصدرًا للمعرفة، ويرفض الاستنارة بنور الوحي، بل يقلل وربما يسخر من أهمية الوحي.

٢) يفسر الوضعيون تاريخ الإنسان من خلال مقولة رئيسية وهي: التطور بشقيه: العضوي والمعرفي.

٣) يترتب على ادعاء التطور العضوي إنكار قضية الخلق بشقيها الخالق سبحانه وعز وجل، وما خلق، وذلك أن ادعاء التطور العضوي يعني أن الحياة مستمرة تتطور وأن الإنسان مرحلة تطور من غيره وسيتطور لغيره، وبالتالي لا آخرة.

٤) ويترتب على ادعاء التطور المعرفي تغييب الرسل والرسالات ومنهج الله في إدارة الحياة، وأثر الشياطين في إفساد الإنسان وإبعاده عن منهج الله.

٥) من خلال استحضار ما أخبرنا الله به عن الشيطان وما قام به من غواية وإفساد للإنسان يمكن تفسير حالة التشابه بين آثار السابقين.

والحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: مراجع كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٢. أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

٣. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٤. أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٥. حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (القاهرة، دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٦. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ).

٧. عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٨ه).

٨. عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٩. عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصور الفنية في القرآن الكريم، (حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

١٠. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكاب،١٤٣١ه).
١١. علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أسباب النزول، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
١٢. علي بن فَضَّال القيرواني، النكت في القرآن الكريم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
١٣. علي بن محمد البغدادي (الخازن)، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
١٤. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
١٥. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
١٦. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
١٧. محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس، الدار التونسية للنشر،١٤٣١هـ/ ١٩٨٤م).
١٨. محمد بن عمر بن الحسن الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
١٩. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢٠. نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب الفرقان ورغائب الفرقان، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢١. محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق لتنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

٢٢. يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن للفراء، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة،١٤٣١هـ).

ثالثًا: مراجع كتب السنة:

٢٣. أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، (الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣).

٢٤. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩).

٢٥. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

٢٦. مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ).

٢٧. يحي بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

رابعًا: مراجع كتب اللغة:

٢٨. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت، دار الفكر العربي،١٤١٤هـ).

٢٩. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر،١٤١٤هـ).

خامسا: مراجع كتب الفقه:

٣٠. إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الموافقات، (القاهرة، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

سادسا: مراجع كتب السير والشمائل:

٣١. إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/ ١٩٩٧م).

٣٢. جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٣٣. عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٣٤. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥).

٣٥. محمد عبد الوهاب التميمي، مختصر سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، (الرياض، وزارة الشئون الإسلامية، ١٤١٨هـ).

سابعا: مراجع أخرى:

٣٦. أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، (القاهرة، المطبعة الحسينية،١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

٣٧. إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلّان الوفا، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م).

٣٨. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٣٩. زكريا بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٤٠. سيد محمود القمني، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، (المملكة المتحدة، هندواي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م).

٤١. عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢).

٤٢. عباس محمود العقاد، إبليس، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).

٤٣. عباس محمود العقاد، الله (جلال جلال ربنا وتقدس)، (القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع،٢٠١٢م).

٤٤. محمد السيد غلاب، ويسري الجوهري، الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م).

٤٥. محمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي، حي بن يقظان، (بيروت، دار الهلال، ١٩٩٣م).

٤٦. منقذ محمود السقار، هل العهد الجديد كلمة الله، (القاهرة، دار الإسلام للطبع والنشر والتوزيع،١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

٤٧. منقذ محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله، (القاهرة، دار الإسلام للطبع والنشر والتوزيع،١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

٤٨. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).

ثامنا: المراجع الأجنبية:

٤٩. أرنولد توينبي، بحث في التاريخ، ترجمة طه باقر، (بيروت، الورّاق، ٢٠١٤).

٥٠. أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، (بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤).

٥١. توفيق فهد،الكهانة العربية قبل الإسلام: الكاهن، الكاهنة، النبي، الشاعر، الحازي، الساحر، الرائي، العراف، الرب، ذو إله، الحمس، ترجمة: حسن عودة- رندة بعث، (بيروت، قَدْمُس للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م).
٥٢. جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، (القاهرة، دار الهلال، ٢٠١٧).
٥٣. جيمس جورج فريزر، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، ترجمة محمد زياد كبة.
٥٤. جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، (القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر،١٩٩٣م).
٥٥. عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
٥٦. وِل وَايريْل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

تاسعا: مجلات علمية:

٥٧. إلهام محمد فتحي شاهين، الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها مجلة الفرائد- كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، العدد السادس والثلاثون.
٥٨. إيناس جلال القصاص، الوحي في خطاب المتأثرين بأفكار المستشرقين والمبشرين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات كفر الشيخ، عدد ديسمبر ٢٠٢٢.
٥٩. إيناس جلال القصاص، شبهات المعاصرين في ضوء فجائية الدعوة في القرآن الكريم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات- بني سويف قطاف: المجلد١٤، العدد ١٤، ديسمبر ٢٠٢١.
٦٠. إيناس جلال القصاص، عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الأول ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م.

٦١. إيناس جلال القصاص، مجتمع مكة والمدينة في القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، والمنعقد بتاريخ١٣-١٤ شعبان ١٤٤٤هـ، الموافق ٥-٦ مارس٢٠٢٣م، بعنوان: النتاج العلمي التراثي والمعاصر في مرايا الباحثين.

٦٢. إيناس جلال القصاص، منهجية المستشرقين في الاستدلال بالقرآن الكريم: جوزيف قَزِّي نموذجًا، مجلة الزهراء، المجلد٣٢، العدد٣٢، اكتوبر٢٠٢٢.

عاشرا: مواقع إلكترونية:

٦٣. الأنثروبولوجيا الإسلامية مقاربة في الاستشراق الجديد لعامر عبد زيد الوائلي، أخذ بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٢٢ من الرابط: https://cutt.us/hpgOh .

٦٤. أحمد إبراهيم خضر، علم الاجتماع: غبش في التصور وتشويش في النظرية، أخذ من موقع الألوكة بتاريخ٢٢/ ١٢/ ٢٠٢٢: https://cutt.us/FVt9x

٦٥. المسيحية قبل المسيح: المخلصون الستة عشر المصلوبون فداءً للبشر، موقع طريق الإسلام أخذ بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٢٣، من الرابط: https://2u.pw/EXIDAbv

٦٦. بارت إيرمان، تحريف أقوال المسيح،أخذ بتاريخ٢١/ ٨/ ٢٠٢٢ من الرابط: https://archive.org/details/1-pdf-maktbah.net

٦٧. عُلا التمام، مراحل تطور المجتمعات عند أوجست كانت، موقع موضوع أخذ بتاريخ ٢١/ ٦/ ٢٠٢٣: https://2u.pw/nMA2jV8

٦٨. فاتن دراج، من هو أرنولد توينبي، أخذ بتاريخ٤/ ٧/ ٢٠٢٣، من الرابط: https://2u.pw/5XUhLCv

٦٩. محمد جلال القصاص، مناقشة هادئة لإسلاميات عباس العقاد، أخذ من الرابط: http://saaid.org/book/open.php?cat=88&book=6308

٧٠. موقع أراجيك، من هو وول ديورانت أخذ من الرابط:

https://www.arageek.com/bio/will-durant

٧١. موقع المحراث، كتاب ديداخي: تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الاثنى عشر، قسم المقالات: أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣:

https://www.plough.com/ar/articles/didache-ar

٧٢. موقع الأنبا تكلا هيمانوت، أقسام الكتاب المقدس ومعلومات عنه، أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣: https://2u.pw/ywWUH

٧٣. موقع الأنبا تكلا هيمانوت، أزمنة العهد القديم، أخذ بتاريخ ١٩/ ٦/ ٢٠٢٣:

https://2u.pw/uuZnX2t

٧٤. موقع الأنبا تكلا هيمانوت، ما هو علم النقد النصي، أخذ بتاريخ ١/ ٦/ ٢٠٢٣:

https://2u.pw/IG5AkC

٧٥. موقع بوابة علم الاجتماع، النظرية البنيوية الاجتماعية، أخذ بتاريخ ١/ ٧/ ٢٠٢٣ من الرابط:

https://www.b-sociology.com/2020/01/blog-post_21.html

فهرس محتويات البحث

المحتويات